

"إن التسامح والاعتدال والوسطية،

هي السبيل للوصول بالوطن إلى شاطئ الأمان"

نجيب ميقاتي

مراحل تطور مفهوم الوسطية في الفكر المعاصر

رغم عمق مفهوم الوسطية في التراث الإسلامي، إلا أنه جرى حتى الآن بحثه في إطار ديني، وإلى حد ما سلوكي، ولم يجر تعميقه سلوكياً كما لم يتم بحثه سياسياً بعمق. وسوف نعرض تالياً أهم مراحل تطور مفهوم الوسطية :

1 - في مطلع الثمانينات بدأ مصطلح الوسطية بالظهور في كتابات الداعية الشيخ يوسف القرضاوي، وهي الكتابات المؤسسة لهذا المصطلح، وخصوصاً كتابه "الصحة الإسلامية" بين الجحود والتطرف" (1982)، في هذا الكتاب يخصص فصلاً مختصراً بعنوان "دعوة الإسلام إلى الوسطية" يتحدث فيه في بضعة سطور عن وسطية الإسلام، وأن "الوسطية إحدى الخصائص العامة للإسلام"، وبدأ المصطلح منذ ذلك الوقت بالانتشار.

هذا المصطلح ظهر في سياق "مواجهة" التطرف والعنف الذي أصبح نهجاً للعديد من الحركات الإسلامية منذ منتصف السبعينيات في مصر وسورية وفلسطين، وبدأ بجذب الشباب المتدينين في ظل حالة الاستعصاء السياسي والتعامل الأصولي والاستتصالي مع الحركات الإسلامية. وكان هذا المصطلح مشحوناً بالانشغال السياسي، فهو عملياً نشأ من رحم المواجهة السياسية وظهر ليكون جزءاً من مواجهة سياسية فكرية محتدمة. مع التطرف الحركي والعنف، ويكاد معناه ينحصر في الدعوة إلى التعقل والتراجع إلى العمل السياسي السلمي.

2- الدعوة الإيرانية التي أطلقها الرئيس الإيراني السابق محمد خاتمي عام 1998 ثم تبناها مؤتمر القمة الإسلامي في طهران عام 1999 ثم الأمم المتحدة بقرار من الجمعية العامة حول مفهوم حوار الحضارات كرد إسلامي على طرح صدام الحضارات.

3- تبني الأزهر مفهوم حوار الحضارات وبدء عملية مستمرة من هذا الحوار في سلسلة من المؤتمرات الإسلامية في مصر حيث تم دعوة مفكرين من العديد من الدول الإسلامية وغير الإسلامية، وإنشاء الأزهر وحدة لحوار الحضارات يشرف عليها الشيخ فوزي الزفراف وكيل الأزهر الأسبق.

4- هذا بالإضافة لحوارات تبناها الأزهر والأوقاف في مصر في ظل الدكتور محمود حمدي زقزوق، والمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في مصر بالتعاون مع عدة مؤسسات من الفاتيكان والنمسا وألمانيا وغيرها لطرح مفاهيم الحوار والتعايش.. ولكن في تقديرنا يؤخذ على المبادرة الإيرانية أن السلوك الإيراني متناقض مع الفكر المطروح من خاتمي، أما مبادرات الأزهر والأوقاف في مصر، فقد انحصرت معظمها في المفاهيم الدينية، كما أنها ذات طبيعة دفاعية، وقد

ظل الأمر طروحاتٍ دينيةً أكثر منها حركةً سياسيةً دينيةً نشطةً تواجه الإرهاب والتطرف.

5- عقد عدة مؤتمرات في الأردن والبحرين وقطر والكويت والسعودية حول مفاهيم حوار الأديان وتعايش الأديان وحوار المذاهب الإسلامية ونحو ذلك، وهذه في معظمها اتسمت بالسمة الرسمية في إطار الحركة السياسية للدولة ومن ثم فإن أثرها الفعلي كان ضئيلاً.

6- طرح رئيس جمهورية باكستان برويز مشرف الذي تبناه مؤتمر القمة الإسلامي في ماليزيا عام 2002 لمفهوم الوسطية المستنيرة ثم طوره الرئيس مشرف في ندوة عقدت في باكستان 2003 شارك فيها نخبة من مثقفي بعض الدول الإسلامية والعربية.

7- نجاح بعض الدول الإسلامية في بناء نظام إسلامي معتدلٍ من خلال صناديق الاقتراع ومن خلال العمل والتقدم العلمي ونخص بالذكر النموذج الماليزي والى حد ما النموذج التركي في ظل حكومة العدالة والتنمية، وهي نماذج امتازت بالجمع بين التقدم العلمي الحديث، والاعتماد على صندوق الانتخاب كأداة للوصول للسلطة، واحترام المعارضة السياسية إلى حد كبير، والتعاون مع الدول المختلفة خصوصاً الدول المسيطرة على السياسة الدولية، والانفتاح الاجتماعي والسياسي والاقتصادي الداخلي.

تلك نبذة موجزة عن أهم ملامح تطور مفهوم الاعتدال والوسطية في الفكر والممارسة السياسية العربية والإسلامية وهي توضح لنا بلا شك أن الموضوع ما زال بكرةً ويحتاج لمزيد من العمق في البحث السياسي وأيضاً في ممارسة السلوك السياسي ويحتاج إلى دراسةٍ وبحثٍ مستفيضةٍ ليأخذ بذلك الطابع الشمولي كمنهاج للحياة ومشروعاً حضارياً متقدماً.

من هنا كان انطلاق فكرة عقد هذا المؤتمر الجامع الذي دُعي إليه نخبة من السادة العلماء والباحثين الأجلاء، لتلتقي معاً في بيئة حيوية للحوار لتكوين رؤية واضحةٍ نحو تطوير المفهوم السياسي لفكر الوسطية المعاصر، مرجعيتنا في ذلك تكوين وسطية لبنانية الإطار، عربية الهوية، إسلامية المنطلق، إنسانية التوجه، سمتها التوازن، وقوامها الاعتدال، ليس فيها للجمود مكان، أو للانفلات موقع.

جمعية العزم والسعادة الاجتماعية